بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ اللهِ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ والاهُ، وبعدُ،

فإِنَّ كَلِمَةَ التّوحيدِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) لَها فضائِلُ عظيمَةٌ، ومَزَايَا عَدِيدةٌ، لا يُمكِنُ عَدُّها وإحصَاؤهَا.

هِيَ كَلِمَةُ التَّقوَى، وهِيَ كَلِمَةُ الإخلَاصِ، وهِيَ شَهَادةُ الحَقِّ، وهِيَ البَرَاءَةُ من الشِّرْكِ والكُفْرِ، وهِيَ النَّجَاةُ مِن عَذابِ اللهِ وعِقَابِهِ، وهِيَ الفُرْقَانُ بين الحَقِّ والبَاطِلِ، وبين الإيمَانِ والكُفْرِ.

لأَجْلِهَا خَلَقَ اللهُ تعالَى الخَلْقَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولأَجْلِهَا أَرْسَلَ اللهُ تعالَى الرُّسُلَ، وبعثَ النَّبيينَ، وأنزَلَ الكُتُبَ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وها هي بعضُ النُّصوصِ التي جاءتْ في بيانِ بَعضِ فَضَائِلِهَا، منهَا:

أولاً - أنَّها العَاصِمُ للنفْسِ والمَالِ مِن سَيْفِ الإسْلامِ :

لَقَدْ بيَّنَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّهُ مَأْمُورٌ بِقِتَالِ النَّاسِ حتَّى يَنطِقُوا بِهَا، فَمَنْ نَطَقَ بِهَا فَقَدْ عَصَمَ نَفسَهُ ودَمَهُ ومَالَهُ؛ لأَنَّهُ بِهَا يَدْخُلُ في الإسْلامِ، ويُفَارِقُ الكُفْرَ.

ولا يَلزَمُ في تقرِيرِ العِصْمَةِ، والحُكْمِ بدِخُولِ الإسْلامِ معرِفَةُ الإيمَانِ في القَلْبِ،

بَلْ يُكْتَفَى بِمُجَرَّدِ النُّطْقِ. ولكِن الأمر – عندَ اللّـهِ – لا يَقِفُ عندَ مُجَـرَّدِ النُّطْقِ؛ إذْ لا بُدَّ أوّلاً أنْ يَعْلَمَ معناهَا، ثُمَّ يقومَ بِمقتَضَاهَا اعتِقَاداً، وقولاً، وعَمَلاً، فيقولُها أوّلاً، ثُمَّ يَعتَقِدُ أنَّ معناهَا (لا مَعبُودَ بِحَقٍّ إلَّا اللهُ).

فيُثْبِتُ الألوهيّـةَ للّـهِ تعالَى وحْدَهُ، ويتَبَرَّأُ مِن جَميعِ العبُوداتِ ويَنفِي الشَّريكَ، والندَّ، والمِثْلَ عن الله عَزَّ وَجَلَّ في رُبوبِيَّتِهِ وأَفْعَالِهِ، وفي أسمائِهِ وصفاتِهِ وكمالِهِ، واسْتِحقَاقِهِ وَحْدَه للعُبُوديَّةِ والألوهيّـةِ تَصْدِيقاً وإيمَـاناً، ثُمَّ تَحقِيقاً وقِيَاماً بِشُروطِ هذهِ الكَلِمةِ، وأدَاءً لمقتَضيَاتِها من الطَّاعَةِ والامتِثَالِ بالصّلاةِ والصِّيَامِ والزَّكَاةِ والحَجِّ، وجَميعِ أمْرِ الله تبَارَكَ وتعالَى؛ فإنَّهَا مِن حُقوقِ هذهِ الكَلمةِ، والصِّدْقِ فيهَا.

ثَانياً - أنَّها المُوجِبةُ لِدخُولِ الجنَّةِ :

لَقَدْ استَفَاضَت النّصوصُ الشَّرعيَّةُ التي تُبيِّنُ أنَّ كَلِمَةَ التّوحيدِ توجِبُ دخُولَ الجَنَّةِ، وذَلِكَ إمَّا أنْ يَكونَ بِلا عَذَابٍ ولا حِسَابٍ، وإمَّا بالدّخُولِ ابتِدَاءً بِلَا عَذَابٍ بعدَ الحِسَابِ، وإمَّا بَعدَ الحِسَابِ والتَّنقِيَةِ مِن آثارِ الذّنُوبِ والسَّيِّئَاتِ.

والتَّفَاوتُ إنَّمَا يكونُ بِحَسْبِ اختِلافِ أحوَالِ القَائِلينَ بِهَا من التَّصْدِيقِ واليَقينِ والقِيَامِ بِمُقتضَاهَا وأدَاءِ حقُوقِهَا.

وهِيَ أيضاً توجِبُ التَّحريمَ على النَّارِ لِقَائِلِهَا، إمَّا ابتِدَاءً، وإمَّا بعدَ دُخولِهَا حيناً، ولا يَخْلُدُ في النَّارِ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ كلمةُ (لَا إلَهَ إلَّا اللهُ) صدْقاً وإخلاصاً.

وهِيَ أيضاً ثَمَنُ الجَنَّةِ ومِفتَاحُها لِمَنْ قَالَهَا وأدَّى فَرْضَها وحَقَّهَا، قِيلَ لِوَهْبِ بنِ مُنَـبِّهٍ: «أَلَيْسَ (لَا إلَهَ إلَّا اللهُ) مِفْتَاحُ الجَنَّةِ ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إلَّا لَهُ

أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ»[1].

ومرادُه أنْ تُصدِّقَ أفعالُه قَوْلَهُ بِأدَاءِ حُقوقِها، والقِيَامِ بفرَائِضِهَا، وأنْ تَحجزَهُ عَن مَحَارِمِ الله تباركَ وتعالَى.

ثَالِثاً - أنَّها تُجَدِّدُ مَا دُرِسَ مِن الإيمَانِ في القَلْبِ:

إنَّ كَلِمَةَ التوحيدِ أعظمُ الذّكرِ لله تعالَى، وأفضلُ مَا يُرَدِّدهُ الأنبِيَاءُ والمُرسَلونَ، وأجَلُّ مَا يَتَنافسُ فيهِ المتَنَافِسُونَ ويتسَابقُ فيهِ المتسَابِقُونَ في طرِيقِهم وسفَرِهم إلى الله تبارَكَ وتعالَى؛ وذلِكَ:

- لما تشتَملُهُ من المعَانِي العظيمَةِ الجَليلَةِ.
- ولأنَّها ترجحُ عندَ الله تبارَكَ وتعالَى السَّمواتِ السّبعَ والأرضينَ السّبعَ، وتَميلُ بِهِنَّ.
- ولأنَّهَا تورِثُ مُراقبَةَ الله تعالَى الدّقيقةَ الدّائِمَةَ بِتكرَارِها والإكْثَارِ منهَا، حتَّى تُدخِلَ صاحِبَها في مرتَبةِ الإحسانِ والإتقانِ.
- كمَـا تُورِثُ الإنَابةَ والرّجوعَ إلى الله تعالَى.
- وتورثُ الهَيْبةَ والإجْلالَ والتّعظيمَ لله عَزَّ وَجَلَّ، حتَّى تورِثَ حياةَ القَلْبِ واطمئنَانَهُ إلى جَنبِه تَبارَكَ وتعالَى.
- وتَفتحُ لِصاحِبِها أبوابَ القُرْبِ والدُّنوِّ منه تبارَكَ وتعالَى فيذكرُهُ اللهُ في الملأِ الأعلَى كُلَّمَا رَدَّدَها وكرَّرَها بقلبِهِ ولِسَانِهِ، فَيلينُ قلْبُهُ، ويَترَطَّبُ لِسَانُهُ ويَزولُ

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجنائز، باب: من كان آخر كلامه (لَا إِلَهَ إلاّ اللهُ) موقوفاً على وهب (٣/ ١٠٩).

عنهُ الرَّانُ، ويَطْمَئِنُّ بِذكْرِهِ تبارَكَ وتعالَى. وقدْ صَحَّ عن رسُولِ الله ﷺ أنَّه قالَ: «**إنَّ الإيمَـانَ لَيَخْلَقُ في جَوْفِ أحَدِكُم كمَـا يَخْلَقُ الثَّوبُ، فاسألُوا اللهَ أنْ يُجَدِّدَ الإيمَـانَ في قلُوبِكُم**»(١).

رابِعاً - أنَّها يُلَقّنُ بِها المحتَضرُ المقبلُ على الموتِ :

إنَّ الواجِبَ على المُكَلَّفِ بعد دُخولِه الإسْلامَ، وتَـمَـيُّـزِهِ عن الكُفَّارِ بِكلمةِ التوحيدِ، أنْ يَحيَا عليهَا قائِماً بِحقِّهَا، مخلِصاً لله تعالَى، ملْتَزِماً شُروطَها وأركَانَها رجاءَ أنْ يَموتَ عليها؛ لذلكَ رَغَّبَ رسُولُ الله ﷺ تلقينَ المحتضرِ بِها؛ لِتكونَ آخرَ كـلَامـهِ وعَهدِهِ بالدنـيـا، ولِيموتَ على كَلمةِ التّوحيدِ والإخلاصِ. وقَدْ صَحَّ عن رَسُولِ الله ﷺ أنَّه قالَ: «**مَنْ كانَ آخرُ كلامِهِ (لَا إلَهَ إلَّا اللهُ)؛ دخَلَ الجنَّـةَ**»(٢).

لذلِكَ عرَضَهَا رسُولُ الله ﷺ على عَمِّهِ أبِي طَالِبٍ عندَ الوفَاةِ، مع حرْصِهِ أنْ تكونَ آخرَ كلَامِهِ، كمـا رواه الإمامُ مُسْلِمٌ في «كتابِ الإيمَـانِ مِن صحيحِهِ ، بابِ الدّليلِ على صِحَّةِ إسلامِ مَنْ حَضرَهُ الموتُ ما لَـمْ يَشْرَعْ في النَّزْعِ»(٣).

وذلكَ لأنَّ في التَّلَفُّظِ بِها عندَ الموتِ وحالِ الضَّعْفِ، تقويةً للقلبِ، وثباتاً على التوحيدِ والقولِ الثابت.

يقولُ الإمَامُ النَّوَويُّ رَحِمَهُ الله عندَ شَرْحِهِ لِحديثِ: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُم لَا إلَهَ إلَّا**

---

(١) رواه الحاكمُ في «المستدرك» (١/ ٤) وقال: «روائُهُ مِصْرِيّونَ ثقاتٌ». ووافقه الذهبِيُّ، وصـحّحهُ الألبـاني في «الصّحيحة» (برقم ١٥٨٥).

(٢) رواه أبو داوود (٣١١٦)، والحاكم (١/ ٣٥١) وقـال: «صـحيحُ الإسـنادِ». ووافقَـهُ الـذهبِيُّ، وحـسَّنَ إسنادَه الألبانيُّ في «الإرواء» (رقم ٦٨٧).

(٣) صحيح مُسلِمٍ: كتاب الإيمان: باب (٩)، كافة أحاديث الباب (١/ ٥٤).

اللهُ». يقولُ: «معناهُ: مَن حضَرَهُ المَوْتُ. والمُرَادُ: ذَكِّرُوهُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)؛ لِتكونَ آخرَ كلامهِ كمَـا في الحديثِ: «**مَنْ كانَ آخرُ كلَامهِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، دخَلَ الجَنَّـةَ**». والأمرُ بِهذا التَّلقينِ أمرُ نَدْبٍ، وأجمَعَ العُلَمَاءُ على هذا التَّلقِينِ، وكَرِهُوا الإكثَارَ عليْهِ والمُوالاةَ[1]؛ لِئلَّا يضطجرَ بضيقِ حالِهِ وشِدَّةِ كَرْبِهِ، فيَكْرَهُ ذلِكَ بِقلبِهِ ويتكَلَّمُ بِمَـا لا يَليقُ. قالوا: وإذَا قالَهُ مرّةً لا يُكَرَّرُ عليْهِ، إِلَّا أنْ يَتكَلَّمَ بعدَه بِكلامٍ آخَرَ، فيُعَادُ التَّعريضُ بِهِ ليكُونَ آخِرَ كلامهِ...»[2].

ويقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ الله: «فتَلقِينُ المُحتَضرِ سُنَّةٌ مَأمُورٌ بِهَا»[3]. ويقولُ أيضاً: «تَلْقِينُهُ بعدَ مَوْتهِ ليْسَ واجِباً بالإجمَاعِ، ولَا كانَ مِن عَملِ المسلِمينَ المشهورِ بينَهم على عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، بلْ ذلِكَ مأثُورٌ عَن طَائِفةٍ من الصَّحَابَةِ كأبِي أُمَامةَ، وواثِلةَ بنِ الأَسقعِ. فَمِن الأئِمَّةِ مَنْ رَخَّصَ فيهِ كالإمامِ أحـمـدَ، وقَدْ استَحَبَّهُ طَائِفَةٌ مِن أصحَابِهِ وأصحابِ الشَّافِعيِّ. ومن العُلَمَاءِ مَنْ يَكرَهُهُ لِاعتِقَادِه أنَّه بدْعَةٌ. فالأقوالُ فيهِ ثلاثةٌ: الاستِحبَابُ، والكَرَاهةُ، والإبَاحةُ»[4].

وأمَّا عَن فَوائد وأهمِّيَّة تلقينِها المَيِّت، يقولُ الإمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله: «لِشَهَادةِ (أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) عندَ الموتِ تأثِيرٌ عَظيمٌ في تَكفيرِ السَّيِّئَاتِ وإحبَاطِهَا؛ لأنَّهَا شَهَادةٌ مِن عَبدٍ مُوقِنٍ بِها، عارِفٍ بِمَضمُونِهَا، قَدْ مَاتَتْ مِنهُ الشَّهَواتُ، ولَانَتْ نَفسُهُ المتَمَرِّدةُ، وانقَادَتْ بَعدَ إبَائِهَا واستِعصَائِهَا، وأقبَلَتْ بعدَ إعرَاضِهَا، وذَلَّتْ

(١) أي: أن يطلبَ مِن المحتضرِ أن يقولَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) المرة تلو الأخرى.

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٦/ ٢١٩).

(٣) «مجموع الفتَاوى» (٢٤/ ٢٩٧).

(٤) «مجموع الفتَاوى» (٢٤/ ٢٩٧-٢٩٨).

بعدَ عِزِّها، وخرجَ مِنها حرْصُهَا على الدّنيَا وفضُولِهَا، واستَخَذَتْ[1] بين يدَي رَبِّهَا وفَاطِرِها ومولَاها الحَقِّ أذَلَّ مَا كانتْ لَهُ، وأرْجَى مَا كانتْ لِعفوِه ومغفرتِهِ ورحمَتِهِ. وتَجرّدَ منها التّوحيدُ بِانقِطَاعِ أسبابِ الشّرْكِ وتَحقُّقِ بُطلانِهِ، فزالَتْ منها تلكَ المُنَازعَاتُ التِي كانتْ مشغولةً بِها، واجتمَعَ هَـمُّـهُ على مَنْ أيقَنَتْ بِالقُدُومِ علَيْهِ والمصيرِ إليهِ، فوجَّهَ العبدُ وَجْهَهُ بكُلِّيّتِهِ إليهِ، وأقبَلَ بقلْبِهِ ورُوحِهِ وهـمِّـهِ عليهِ، فاستَسْلَمَ وحدهُ ظَاهراً وبَاطِناً، واستَوَى سِرُّهُ وعلانيتُهُ، فقال: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) مُخلِصاً مِنْ قلبِهِ، وقدْ تَخلَّصَ قلبُهُ من التَّعلُّقِ بغيرِهِ والالتِفَاتِ إلَى ما سِواهُ، وقَدْ خَرجَتِ الدّنيَا كلُّهَا مِن قلبِهِ، وشَارَفَ القُدُومَ على رَبِّهِ، وخَـمَـدتْ نِيرَانُ شَهوتِهِ، وامتَلأَ قلْبُهُ من الآخِرةِ فصَارتْ نصبَ عينَيْهِ، وصَارَت الدّنيَا ورَاءَ ظَهْرِهِ. فكانت تِلك الشّهادةُ الخالِصَةُ خاتِـمَـةَ عمَلِهِ، فطَهَّرتْهُ مِن ذُنوبِهِ وأدْخلَتْهُ على رَبِّهِ؛ لأَنَّهُ لقي ربَّهُ بِشهادَةٍ صادقَةٍ خالِصَةٍ، وافقَ ظَاهِرُهَا بَاطِنَها، وسِرُّهَا علانيَتَها.

ولو حصلتْ لهُ الشّهادةُ على هذا الوجْهِ في أيَّامِ الصّحّةِ؛ لاستَوحَشَ من الدّنيَا وأهلِهَا، وفَرَّ إلى الله مِن النَّاسِ، وأَنِسَ بهِ دونَ مَا سِواهُ. لِكنَّهُ شَهِدَ بِها بِقلْبٍ مَشْحُونٍ بِالشَّهَواتِ، وحُبِّ الحياة وأسبَابِهَا، ونفسٍ مَـمْـلُوءةٍ بِطَلَبِ الحُظوظِ، والالتِفات إلَى غيْرِ الله. فَلوْ تَجَرَّدتْ كتَجَرُّدِهَا عندَ المَوتِ لَكانَ لَها نَبَأٌ آخَرُ ، وعَيْشٌ آخرُ سِوَى عيشِها البَهيمِيِّ، واللهُ المُسْتَعانُ»[2].

(١) استَخَذَتْ، واستَخذأت: بترك الهمزِ وإثباتِه، أي خضعت وانقادت. «لسان العرب» (٢/ ١١١٦).

(٢) «الفوائد» لابنِ القيّم (ص: ٥٥-٥٦)، المكتبة السلفية.